(١٩) باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

نعم لما بيّن الشيخ رحمه الله عزّ وجل الأمور الشركية التي يَكثُر وُقوعها من أقوام ينتسبون إلى الإسلام ثم بيّن بالبراهين القاطعة التي لا شكّ فيها أنّه:

- لا يوجد مخلوق مهما علا شرفه و فضله و درجته يستحقُّ أن يُصرَف له شيء من أنواع العبادة،
- و أنّ النفع و الضرَّ كله بيد الله عزّ وجل،
- و أنّ النفع الحاصل من المخلوق للمخلوق في الآخرة أو في الدنيا إنّما هو بفضل الله ، و بإذن الله عزّ و جل.

فبيّن بالبراهين أنّ العبادة إنّما تكون لله وحده، و أنّ الأمر كله لله، و أنّه ليس لمخلوق من الأمر شيء إلا بأمر الله و إذنه سبحانه و تعالى.

كأنّ سائلا سأل، ما دام أنّ هذا الأمر بهذا الظهور والوضوح، فلماذا يقع بعض الناس في الشرك؟

لماذا نجد بعض من يقرؤون القرآن بل قد يحفظون القرآن يقعون في الشرك؟

لماذا نجد بعض من يعرفون الأحاديث يقعون في الشرك مع ظهور الأدلة على التوحيد؟

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

عقد الشيخ رحمه الله هذا الباب ليُبيِّن أنّ السبب الأعظم للوقوع في الشرك هو الغلو في الصالحين.

فالغلو في الصالحين :يجعل على البصيرة غِشاوة فلا ترى الحق ّ ًالواضح البين،

و الغلو في اللغة : هو مجاوزة القدر و الارتفاع.

يقال غلت الأسعار: يعني ارتفعت.

و يقال غلا الرجل في الرجل : أي جاوز به قدره وجاوز به حده.

و الغلو في الاصطلاح: هو مجاوزة الحدِّ.

و الحدُّ- أيُّها الإخوة- قد يكون :

-عقليا يُعرَف بالعقل.

-و قد يكون عُرفيًّا يُعرف بالعرف و التجارب.

-و قد يكون شرعيًّا يُعرف بالشرع و يُنسب إليه.

و الكلام هنا- أيُّها الإخوة- عن الغلو في الحد الشرعي، أي مجاوزة الحد الشرعي ،

و ضابطه : أن يُترك المشروع الى غير المشروع، فمن ترك المشروع إلى ما لم يشرعه الله عز وجل فقد غَلاَ وتجاوز الحد.

و الغلو في الدين **حرام مطلقا سواءً** كان صغيرا أو كبيرا، لكنّه ينقسم من حيث أثره إلى قسمين:

1) **غلوٌّ هو حرام لكنه لا يُخرج من الدين:**

من فعله فقد ارتكب حراما و آثم لكنه يبقى مسلما و لا يكون فاعلا لمكفر.

مثال ذلك : الغلو في الأذكار، الله عزّ وجل شرع لنا أن نذكره كثيرا و ذكر الله مشروع، و قد بيّنه النبي صلى الله عليه و سلم بقوله و فعله، فإذا جاء رجل فترك المشروع وأحدث أمرا ليس مشروع، فأصبح يذكر الله **بهو**، ذكر الله **بهو هوهو** هذا غير مشروع لم يرد في كتاب الله و لا في سنة الرسول صلى الله عليه و سلم و لا فعله سادة الأمة هذا غلا في الذكر، فعل حراما، هل فعل شركا ؟

الجواب هكذا : لا، هو مسلم لكنّه فعل حراما.

و مثال آخر مثلا: أن يقوم الإنسان بالمولد و يقول أنا أحيي مولد النبي صلى الله عليه و سلم و أنا أحيي مولد الأشياخ، هذا ترك المشروع من محبة النبي صلى الله عليه و سلم المشروعة إلى غير المشروع، لأنّ هذا الأمر ليس في الكتاب و السنة، **والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]** هذا قد غلا و يأثم،فعل حراما لكنّه لا يَخرج من الملة بل هو مسلم.

2) **و النوع الثاني هو الغلو المكفر:** الذي يفعل الإنسان بسببه الكفر و قد يُحكم عليه بعينه بالكفر اذا اجتمعت الشروط و انتفت الموانع.

مثال ذلك : الغلو في النبي صلى الله عليه و سلم حتى يُعتقَد فيه ما لله، فإذا جاءنا إنسان و قال النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب، ما من غائبة إلا و يعلمها النبي صلى الله عليه و سلم، قلنا هذا غلو في النبي صلى الله عليه و سلم لأنّك تجاوزت المشروع إلى غير المشروع و هذا كفر و العياذ بالله لأنّه تكذيب للقرآن ، و تكذيب للسنة ، و لأنّك جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم ما لله فهذا كفر و العياذ بالله.

الذيّ يأتي و يدعو النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يأتي من بلده و يحج ويطوف بالكعبة و يقف بعرفة ثم يأتي إلى المدينة ويذهب عند القبر و يقول يا رسول الله أتيتك محملا بالذنوب ، فاغفر لي ذنوبي ، هذا شرك و العياذ بالله لأنه جعل ما لله للنبي صلى الله عليه وسلم **من جهتين :**

- **الجهة الأولى :** أنّه دعاه و الدعاء إنما هو لله كما تقدم برهانه.
- **و الأمر الثاني :** أنّه طلب منه مغفرة الذنوب و مغفرة الذنوب إنما الله عزّ وجل فهذا غلو و هو كفر و العياذ بالله عزّ وجل.

و الشيخ هنا يتحدث عن غلو خاص و هو الغلو في الصالحين.

و ذلك- أيُّها الإخوة -أنّ الصالحين من عباد الله على رأسهم أنبياء الله، العُبَّادُ لله عزّ وجل، عِبَاد الله الصالحون، تجب محبتهم و لهم منزلة عالية شرعا و إجلالهم و تعظيمهم التعظيم الشرعي من إجلال الله سبحانه و تعالى ،و أخطأ في هذا **طرفان:**

- ✓ **طرف جُفَاء :**

لا يحبون عباد الله الصالحين و لا يعرفون لهم فضلهم و يُسوُّونَهم بغيرهم و هذا ضلال و خطأ عظيم.

- ✓ **و طرف غُلاَة :**

يتجاوزون القدر في المحبة و هذا هو المراد هنا، فإنّ الغلو في محبة الصالحين يقود الإنسان إلى الشر و لربمّا وصل به إلى الشرك بالله عزّ وجل كما يأتي في الأدلة.

فالسبب الأعظم للشرك عبر التاريخ هو: الغلو في الصالحين، منذ أن وقع أول شرك في الأرض ما وقع إلا بسبب الغلو في الصالحين و إلى يومنا هذا و إلى أن يرث الأرض و من عليها ، أعظم أسباب الوقوع الشرك **الغلو في الصالحين.**

لماذا يذكر لنا الشيخ هذا ؟

1) يذكر الشيخ لنا هذا أولا لنحذَرَ ذلك فلا نغلو في الصالحين و لا نكون من الجفاة و إنما نلزم الشرع في هذا.
2) و الأمر الثاني حتى يتخلّص من وقع في شيء من الغلو في الصالحين من هذا و يتوب إلى الله و يرجع إلى الله عزّ وجل، و هذا من تمام النصح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

المتن :

۞ وَقَولِ الله تَعَالَى[٤]: ﴿يَا أَهلَ الكِتَابِ لا تَغلُوا فِي دِينِكُم [غَيرَ الحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهوَاءَ قَومٍ قَد ضَلُّوا مِن قَبلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ۞]﴿[٥][٦].

الشرح:

نعم، الله عزّ وجل قال:

[يا أهل الكتاب] : و أهل الكتاب هم اليهود و النصارى، و الغلو وجد في اليهود ، و النصارى ،لكنّه في النصارى أعظم لأنّ:

النصارى أهل تعبُّد بجهل، و اليهود يعلمون و لا يعملون، فهم أهل جفاء، لكن الغلو وقع من اليهود و وقع من النصارى، و لكنّه في النصارى أعظم، فقال الله:

[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا]:

لا: ناهية.

[لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ] : فنهى الله عزّ وجل أهل الكتاب عن الغلو في الدين، و في الآية الأخرى قال الله عزّ وجل: **[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَق]** ، فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم **((:قل))**يا محمد صلى الله عليه و سلم **((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ))** و هذه الآية- يا إخوة- تدل على أنّا مخاطبون بهذه الآية، عندما قال الله عز وجل : **[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ]** كأن ّقائلا منكم يقول مثلا الخطاب لليهود و النصارى، فما وجه الاحتجاج به على أمة محمد صلى الله عليه و سلم ؟

وجه الاحتجاج به من وجهين :

1) **الوجه الأول :** أن ما ورد في شرعنا خطابا لأهل الكتاب فهو شرع لنا و خص أهل الكتاب هنا بالخطاب لأن الغلو قد وقع منهم .

و الوجه الثاني : ما في الآية الثانية **[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]** إذن هذا الخطاب من النبي صلى الله عليه وسلم، فالذي يُخاطبهم هو محمد صلى الله عليه وسلم، إذن النهي عن الغلو من شرعنا لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يُخاطبهم فدل

ذلك على أن الغلو في الدين **حرام مطلقا** سواء أن كان في أمر صغير أو في أمر كبير.

-طيّب- كيف يتحقق امتثال الآية؟ يتحقق امتثال الآية بلزوم المشروع، كيف لا أغلو في ديني ؟

إلزم المشروع، فإذا لزمت المشروع سلمت من الغلو، فهذه الآية بالنص ، باللفظ ، بالمنطوق تنهى عن الغلو، و بالتضمُّن تأمر بالإتباع ، لأنّه لا يمكن أن تكون السلامة من الغلو إلاّ بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

المتن:

٣٩- في «الصحيح»: عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قولِهِ تَعَالَى[٢]: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسرًا﴾[١].

قَالَ: هَذِهِ أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَى الشَّيطَانُ إِلَيهِم[٢]: أَن انصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجلِسُونَ فيها أَنصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسمَائِهِم، فَفَعَلُوا، فَلَم[٣] تُعبَد حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلمُ عُبِدَت[٤].

الشرح:

نعم قال في **الصحيح** أي في صحيح البخاري.

[عن إبن عباس رضي الله عنهما] ترجمان القرآن الذي قال فيه النبي صلى الله عليه و سلم [اللهم فقه في الدين و علمه التأويل] يقول في قول الله عز وجل[وَقَالُوا لَا تَذَرُ ن آلِهَتَكُمْ]

التي تعبدونها: ((وَقَالُوا لَا تَذَرُ ن آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُ ن وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا))

فسّر إبن عباس رضي الله عنهما هذه الآية فقال:

((هذه أسماء رجال صالحين:))

فودّ و سُواع و يغوث و يعوق و نسرا هذه أسماء لرجال صالحين كانوا:

يعبدون الله عز وجل قبل وقوع الشرك لأن الناس بقوا عشرة قرون بعد إهباط آدم عليه السلام إلى الأرض و هم على التوحيد لا يعرفون الشرك.

و هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله قبل وقوع الشرك في الأرض،فكانوا عبادا لله صالحين موحدين من قوم نوح،يعني من القوم الذين ينتسب إليهم نوح.

و ليس المراد يا إخوة من قوم نوح الذين كانوا نوحا نبيهم :لأنه إذا قلنا قوم نوح قد يراد بها أنهم القوم الذين بعث إليهم نوح عليه السلام ،فكان نوحا نبيهم و قد يراد القوم الذين ينتسب إليهم ،هو منهم.

و المراد هنا يا إخوة:

القوم الذين ينتسبوا إليهم لأن هؤلاء الرجال كانوا قبل نوحا عليه السلام و ماتوا قبل نوح عليه السلام و عبدوا قبل أن يبعث نوح عليه السلام،أعني لما نصبت التماثيل في مجالسهم.

إذن من قوم نوح يعني من القوم الذين ينتسب إليهم نوح عليه السلام.

((فلما هلكوا:))

لما ماتوا أتباعهم و من كانوا معهم أصابهم الحزن على فراقهم و خافوا على أنفسهم أن تقل عبادتهم لربهم لأنه كانوا إذا رأوا هؤلاء الرجال الصالحين نشطوا في العبادة.

فجاء الشيطان إلى هؤلاء القوم الذين يحبون اولئك الرجال.

((فأوحى إليهم:))

أي وسوس لهم، **((أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا))**

أي تماثيل على صورهم أي صوروهم و اجعلوا هذه الصور في مجالسهم و سموها بأسمائهم فهذا التمثال ود، في مجلسه يسمى ودا و هذا يغوث و هذا يعوق و هذا نسرا لماذا⁉ هل ليعبدوهم⁉

الجواب:

لا و لكن ليتذكروهم فينشطوا في العبادة هكذا وسوس لهم إبليس،ففعلوا نيتهم حسنة ما يريدون عبادة أحد من دون الله بل يريدون النشاط في العبادة،لكنهم وقعوا في هذه البدعة المحدثة و هي نصب التماثيل تقربا إلى الله لينشطوا في العبادة بسببها

.

((فلم تعبد)) : يعني أن القوم الذين صوروها لم يعبدوها لأنهم يعرفون لماذا صورت.

((حتى إذا هلك أولئك القوم)) : مات الذين صوّروها.

هنا قال و **((نُسِيَ العلم))** والذي في السنن في كتب السنن، في كتب الأحاديث **((و نُسخ العلم))**، أو **((و تَنسَّخ العلم))** كما عند البخاري أي أن العلم قد رُفع،

-طيب- ما هو العلم الذي قد رفع؟

قال بعض أهل العلم:

1) **العلم** بسبب هذه التصاوير، ليس العلم مطلقا و لا العلم بالتوحيد و إنّما العلم بسبب نصب هذه التماثيل.

و قال بعض اهل العلم :

2) بل العلم الذي نسخ هنا هو العلم بالتوحيد بسبب موت العلماء.

و قال بعض أهل العلم :

3) بل هو **العلم** مطلقا نسخ العلم و رفع بسبب موت العلماء فجاء الجهل و الجهل شجرة كل شرّ.

((عُبِدت)) :

يعني جاء إبليس إليهم و قال لهم **((ما صورها أباؤكم و أجدادكم إلا لمنزلتهم عند الله))** و لأنّ لهم جاها و منزلة. فعكفوا عليها فعبدوها، فوقع الشرك في الأرض أول شرك وقع في الأرض هذا الشرك بسبب المجاوزة.

و ألحظوا- يا إخوة- أنّ إبليس لم ينقلهم الى الشرك مرة واحدة بل نقلهم إلى البدعة و البدعة بريد للشرك، نقلهم إلى الإحداث، فأمرهم بنصب هذه التماثيل و صبر على ذلك زمنا طويلا، رضي من هؤلاء القوم بهذا، بهذه البدعة و صبر عليهم طويلا إلى أن مات أؤلئك القوم، و المعلوم- يا إخوة- أنّ أعمار الناس في ذلك الزمان كانت طويلة، صبر حتى مات اؤلئك القوم، **((و نسخ العلم))** فبدأ بأمر آخر و خطوة أخرى و هي دعوة الناس إلى عبادتهم ليكونوا شفعاء لهم عند الله و هكذا يفعل إبليس بالإنسان يأخذه إلى الشرّ خطوة خطوة.

فهذا يدل على- إخوة – على أنّ سبب أول شرك وقع في الأرض هو الغلو في الصالحين، غَلوا في الصالحين لمحبتهم، ففعلوا ما لم يشرع ثم وقع الشرك و العياذ بالله.

المتن:

۞ وَقَالَ ابنُ القَيِّم: قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ مِن السَّلَفِ: لَـمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِم، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُم، ثُمَّ طَالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُم (٥).

الشرح:

قال ابن القيم قال غير واحد من السلف أي قال جمع من السلف، **و هذه الأقوال موجودة في كتب التفسير عند** ابن جرير، الطبري ، عند أبي حاتم، موجودة في كتب التفسير.

اي **((لما ماتوا))** : أي مات اؤلئك الصالحون.

((عكفوا على قبورهم)) : أي قعدوا عند قبورهم.

((ثم صوروا تماثيلهم)) : أول الغلو هو العكوف عند القبور و الجلوس عند القبور، أول أمر أنّهم يجلسون عند القبور يستمعون عند القبور ثم بعد يأتيهم إبليس و يقول البركات التي تحصل لكم ، هذه الخيرات التي تحصل في يومكم بسبب جلوسكم عند هؤلاء الصالحين عند قبورهم، ثم يأخذهم خطوة خطوة إلى الإشراك بالله، ثم صوَّروا تماثيلهم **فوقعوا في نوعين من الغلو، هما خطوتان معلوماتان للوقوع في الشرك:**

1) **الأولى :** العكوف عند القبور،و لو لم يُعبد أصحاب القبور الإجتماع عند القبور إجتماعا مقصودا هذه خطوة للوقوع في الشرك.
2) **و الثانية :** تصوير التماثيل فتصوير تماثيل الصالحين سبب لعبادتهم، فهذا غلو ظاهر.

المتن:

٤٠ – وَعَن عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:«لَا تُطرُونِي كَمَا أَطرَت النَّصَارَى ابنَ مَريَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبدٌ، فَقُولُوا: عَبدُالله، وَرَسُولُهُ». أخرجاه[٦].

الشرح:

أخرجاه، والحقّ أن الذي رواه هو البخاري و لم يروه مسلم رحم الله الجميع.

هذا الحديث في صحيح البخاري و هو :من أصحّ الأحاديث و أقواها ثبوتا و معنى لأنّ عمر رضي الله عنه قاله على المنبر بحضرة الصحابة، قاله على المنبر كما عند البخاري أيضا و بحضرة الصحابة، فلم يرد عليه أحد من الصحابة، فكأنّ جميع الصحابة الحاضرين قد رووه لأنّهم أقرّوه فهذا يقوي هذا الحديث جدًّا.

عمر رضي الله عنه قال هذا الحديث على المنبر و الصحابة متوافقون بالمدينة و لم يرد عليه أحد من الصحابة رضوان الله عليهم هذا، فهذا يقوّي ثبوت هذا الحديث، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **((لا تطروني))** : و هذا خطاب للمؤمنين، فمن كان مؤمنا فليسمع.

((لا تطروني)) : و الإطراء هو الإفراط في المدح و مُجاوزة الحدّ فيه ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في مدحه ،

((**كما أطرت النصارى ابن مريم**)) : كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم بلغ بهم الأمر أن قالوا إنه ابن الله أو قالوا ثالث ثلاثة أو قالوا هو إله و سبب هذا هو الغلو.

((إنما أنا عبدٌ)) : من الذي يقول هذا ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قاله عالم ،ما قاله شيخ.

بعض الناس من جهلهم يقولون الذين يقولون إنّ النبي صلى الله عليه وسلم عبد هؤلاء جفاء ما يحبّون النبي صلى الله عليه و سلم،و الله الجفاة الذين جمعوا بين الجفوة و الغلو الذين لا يقفون عند كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ((و إنما)) : أداة حصر، إنّما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله، فهذه الجملة يا إخوة فيها الرد على الغلاة و على الجفاء.

((فقولوا عبد الله)) : هذا ردٌّ على الغلاة الذين يغلُون في رسول الله صلى الله عليه وسلم و يجعلونه شريكا مع الله فيما لله حتّى في علم الغيب، جعلوه شريكا لله في الجود و الإعطاء مطلقا.

"و إن من جودك الدنيا و ضرّتها" وجعلوه شريكا لله عز وجل في علم الغيب , **"ومن علومك علم اللوح و القلم"** هذا بعض علمك.

هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله و عبد لا يعبد و لا يتجاوز به مرتبته، فلا يجاوز به عبد مرتبته.

((و رسوله)) :

هذا رد على الجفاة، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم عبدٌ لكن الله شرّفه بالرسالة، فهو عبد لا يُعبد و رسول لا يُكذَّب، فهو عبد شرّفه الله عز وجل بالرسالة.

و من عجيب الأمر- يا إخوة-: أنّ إبليس تسلّط على بعض الناس ليمنعهم من الاستفادة من هذا الحديث الصحيح.

و قال لهم معنى **((لا تطروني كما أطرت النصارى إبن مريم))** : أي لا تقولوا إنّي إبن الله ثم قولوا ما شئتم، اذا اجتنبتم أن تقولوا إنّي إبن الله فقولوا ما شئتم فأصبحوا يقولون الشرك في حقّ النبي صلى الله عليه وسلم و يقولون ما أطريناك، ما أطرت النصارى ابن مريم و سبحان الله النبي صلى الله عليه وسلم يقول في هذا الحديث ما يردُّ هذا التفسير

قال: **((إنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله))** فنهى عن الغلو في مدحه مطلقا، بل -يا إخوة -عندما جاء وفد بني عامر الى النبي صلى الله عليه و سلم قالوا له: **((أنت سيدنا))** و رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا ، والله إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا و سيد ولد آدم أجمعين و هو القائل عن نفسه: **((أنا سيد ولد آدم و لا فخر.))** إذن ما قالوا باطلا -يا إخوة-، من حيث اللفظ ما قالوا باطلا ، قالوا سيدنا فقال صلى الله عليه و سلم: **" السيد الله تبارك و تعالى"** ، قال العلماء رأى منهم غلوًّا فأدّبهم، وهذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم، إذا رأى الغلو أدب لما جاءه الرجل كما سيأتينا فقال ما شاء الله و شئت، قال أجعلتني لله ندا، قل ما شاء الله وحده، و لو قال ما شاء الله ثم شئت لكان صوابا لكن، لما رأى منهم الغلو أدّبهم ، فهنا لما رأى أنّهم يقولون ذلك غلوًّا أدّبهم صلى الله عليه وسلم، فقال" **السيد الله تبارك و تعالى"**، قالوا : **"و أفضلنا فضلا و أعظمنا طولا"**، أنت يا رسول الله أفضلنا فضلا و أعظمنا طولا جودا و إنفاقا و كرما، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: **((قولوا بقولكم أو بعضِ قولكم و لا يَستَجرِيَنَّكُم الشيطان))** **رواه أبو داوود و صححه الألباني.**

قولهم صحيح النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ولد آدم و هو أجود الناس، كان أجود بالخير من الريح المرسلة، و لذا كان يعيش فقيرا مع كثرة ما يأتيه من المال، يمرُّ الشهران و الثلاثة و لا توقد في بيته الشريف نار، أي لا يُطبخ في بيته صلى الله عليه وسلم و إنما يأكل التمر و يشرب الماء مع كثرة ما يأتيه من المال لكن لا يبيت المال عنده، ينفقه في سبيل الله،فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم :

"**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ما دام أن القول حق**" و لكن انتبهوا "**لا يَستَجريَنَّكُم الشيطان**" إلى الغلو، فدلّ ذلك على أنّ مدح النبي صلى الله عليه و سلم بما فيه من غير غلو أن هذا مشروع لا بأس به و أنّ الغلو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لا يُرضي النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من عمل الشيطان، و قال رجل: **((يا محمد يا سيدنا و ابن سيدنا و خيرنا و ابن خيرنا))** فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((يأيها الناس عليكم بتقواكم لا يَستهوينَّكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله، عبد الله و رسوله، والله ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله))** رواه أحمد و صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط و الشيخ الألباني و قال صحيح على شرط مسلم، فهو في غاية الصحة،

الرجل قال:" **يا محمد يا سيدنا و ابن سيدنا و يا خيرنا و ابن خيرنا**"، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "**يأيها الناس عليكم بتقواكم**" أي ألزموا التقوى، "**و اتقوا الله و إياكم و الغلو ،لا يَستهوينَّكم الشيطان**" أي لا يقودنَّكم الشيطان إلى الغلو فإنّ الغلو من وسوسة الشيطان.

"**أنا محمد بن عبد الله، عبد الله و رسوله** "هذه منزلتي : عبد لا أعبد، و رسولا لا أُكذَّب.

" **والله**" :

اسمعوا يا مؤمنين النبي صلى الله عليه وسلم يقسم و هذا الأمر مهم يقول للمؤمنين جميعا " **و الله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله**" يا مؤمن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك " **والله ما أحب أن ترفعني فوق منزلتي التي أنزلني الله**" و هي أني عبد و رسول، كيف تأتي و تفعل ما لا يحبه النبي صلى الله عليه وسلم، بزعم أنّك تحب النبي صلى الله عليه وسلم و ، النبي صلى الله عليه وسلم يُقسم لك و ليس بحاجة لأن يُقسم صلى الله عليه و سلم ،

" **والله ما أحب**" : ينفي محبّته صلى الله عليه و سلم و والله إنّه لصادق ،

"**ما أحب أن ترفعوني**": فهؤلاء الذين يقولون إنّ النبي صلى الله عليه و سلم يتحكّم في الكون من قبره، هذا المتمدِّح بالباطل الذي يقول إنّ النبي صلى الله عليه و سلم في قبره ينقذ الغريق، و يطفيء الحريق، و يزيد الرزق، هذا رفع النبي صلى الله عليه وسلم فوق منزلته، بل جعله شريكا لله عزّوجل،

و النبي صلى الله عليه و سلم يقول:"**والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله**" إذن أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله و رسوله.

فدل هذا دلالة بينة على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يُبغض الغلو و ينهى عنه في مدحه ، و لا شك أن الغلو في المدح يقود إلى الوقوع في الشرك و العياذ بالله.

المتن:

٤١ - [وَفِي «الصَّحِيحِ»: عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ][1] قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِيَّاكُم وَالغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم الغُلُوُّ»[2].

الشرح:

نعم قال: وعن إبن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"إياكم و الغلو في الدين فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"**.

هكذا لفظ الحديث و الحديث رواه : أحمد، و ابن ماجة، و النسائي، و صححه ابن خزيمة و الحاكم، و وافقه الذهبي و النووي و ابن تيمية و الألباني. و الحديث صحيح لا شك في صحته.

و هو يدل على تحريم الغلو في الدين في أيّ أمر لأن سبب الحديث -يا إخوة- إنما هو الحصيات التي يرمي بها الحاج فإن النبي صلى الله عليه و سلم في طريقه من مزدلفة إلى منى قال لابن عباس أُلقُط لي ، فلقط له سبع حصيات، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم في كفّه الشريف و قال : **" بمثل هذه فارموا و إياكم و الغلو في الدين فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"** يعني و إياكم الغلو في الحصى، بأن تأخذ حصيات كبارا لترمي بها، فإنّ هذا من الغلو، فإذا نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو في الحصى، فمن باب أولى الغلو فيما كان أكبر من ذلك، و لا سيما أن لفظ الحديث عام و العلماء يقولون العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

إيّاكم يا من آمنتم بي يا معاشر المسلمين، إيّاكم ، أحذّركم الغلو، فاحذروه، لماذا؟ لأنه سبب للهلاك،" **فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**" فعبدوا غير الله بسبب الغلو في الدين و هذا يدلّ –يا إخوة– على ما قدّمناه من أنّ الغلوّ مهما كان صغيرا كان أو كبيرا، الغلوّ في مجاوزة الحدّ الشرعي مهما كان صغيرا أو كبيرا محرمٌ مطلقًا، وقد يصل بالعبد والعياذ بالله الى أن يُشرك بالله فيهلك والعياذ بالله.

المتن:

٤٢ – وَلِمُسلِم: عَن ابنِ مُسعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ». قَالَهَا ثلاثًا[٣].

الشرح:

و لمسلم ، في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون**" :

و المتنطعون– يا إخوة– هم : المتعمّقون في الدين ، ليس المتمسكين بالدين، و إنّما هم المتعمقون في الدين، المتكلفّون ما لم يشرع.

و أصل التعمّق هو: الغلو في الكلام.

أصل التنطّع هو: الغلو في الكلام، أن يتكلم الإنسان كأنّه يتكلم متكلِّفا، يُضخِّم صوته، فتخرج الحروف من أقصى الحلق.

و سبب هذا: الكِبر فيتكلم الإنسان بصوت يُخرجه من داخل فمه كِبرًا هذا أصل التنطع مأخوذ من النطع و هو الغار،كأنّه عندما يتكلم من آخر حلقه يخرج الكلام من الغار و الكلام في الغار يكون له صدى و يكون على غير حقيقته كذا المتنطع هذا أصل التنطع.

ثم أُطلِق على التكلُّف و على التعمُّق مطلقا.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " **هلك المتنطعون**" أي هلك المتكلفون في الدين ما لم يشرع، المتعمقون فيه بالابتداع، أما المستقيمون على المشروع فهؤلاء هم أهل الأمن، و أهل الحياة الطيبة، بعض الناس الآن- يا إخوة- إذا رأوا شخص أعفى لحيته قصر ثوبه و لو يعني فوق الكعب بقليل قالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **هلك المتنطعون**" ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :" **إيّاكم و الغلو في الدين**" ما هذا تنطعا و لا غلوا هذه استقامة.

و من استقام : فله الأمن و له الحياة الطيبة.

و إنّما التنطع هو : التكلف في الدين بحيث تفعل ما لم يشرع، تبتدع بحجّة أنك تريد أن تزيد بالعبادة، تزعم أنّك تريد مزيدا من القرب من الله، فتأتي بعبادات، هؤلاء الذين يُصلُّون الفجر في المساجد ، في بعض البلدان، ثم يقومون و لهم شيخ و يبدؤون في الذكر الجماعي بهيئة ليست مشروعة ، و بألفاظ ليست مشروعة ، بطريقة ليست مشروعة، يرقصون و يتغامزون و يهزون رؤوسهم هزا عجيبا، و يقولون هو هو

هو، و يرقصون يرقصون و الشيخ يرقص ثم يتواجدون و يتساقطون على الأرض إلى أن تشرق الشمس أو قريبا من إشراق الشمس.

هؤلاء:

متنطعون،

متعمِّقون،

متكلِّفون،

مذمومون.

لكن الذي يصلي الفجر و يبقى في مُصلاّه يذكر الله حتى تطلع الشمس و ترتفع فيصلي ركعتين هذا **مُستقيم.**

ما الفرق بين هؤلاء أو بين هذا و الأوّلين؟

الفرق أن هذا فعل المشروع فهو مستقيم على دين الله، والأولون تعمقوا تنطعوا، قالوا ما يكفي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، نحتاج إلى أحد من بعد النبي صلى الله عليه وسلم يشرع لنا حتى نزداد قُربًا من الله.

هؤلاء:

متنطِّعون.

متكلِّفون.

و الغالب أن المتنطع بمقدار تَنطُّعه يُحرَم السنة و هذا أقلُّ هلاكه، أنّه بمقدار تنطعه يُحرم السنة و لا شك أنّه يأثم بفعل البدع و هذا هلاك معنوي و قد يصل الأمر

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

إلى الشرك، فيهلك هلاكا هو أعظم من الموت.

فدلّ ذلك أيّها– الإخوة– على أنّ الغلو و التنطع والإفراط :

-ليس طريق النبي صلى الله عليه و سلم ،

-و لا يحبّه النبي صلى الله عليه و سلم ،

-و ليس طريق الصالحين ،

-و ليس طريقا للفلاح ،

-و ليس طريقا للقرب من الله ،

-و إنما هو من وسوسة الشيطان ،

-و سبب للهلاك و العياذ بالله ،

فدلّ ذلك على أن الحقّ للمسلم و السلامة **أن يلزم المشروع** و أنّ الهلاك في الإبتداع والإبتعاد عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

قال رحمه الله :

فيه مسائل :

المتن:

الأولى: أَنَّ مَن فَهِمَ هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الشرح:

نعم بمعنى- يا إخوة-، إذا تأمّلت في حال المنتسبين إلى الإسلام اليوم، تجد أنّ كثيرا من المسلمين وقعوا في الغلو في الدين، و يقابلهم أقوام وقعوا في التساهل في الدين، فكثير ممّن يريدون العبادة وقعوا في الغلو و كثير ممّن ينتسبون إلى الإسلام وقعوا في التساهل و هذه غربة أن تعيش حتى ترى هذا، و لذلك بعض إخواننا يقول يا شيخ أنا عندما استقمت أصبحت أحسُّ بغربة، أنا غريب أنا شاب في البلد، أنا شاب في الحي لأنّ أهل الحي منهم غلاة يتنطّعون في الدين و يأتون بالبدع و لا يفعلون السنن و منهم متساهلون ، هؤلاء يشتمونني و هؤلاء يشتمونني فمن أدرك أن الغلو ليس من الدين و أن الاستقامة على الدين واجبة أدرك مدى الغربة اليوم و في نفس الوقت هذا يؤكد ما نقوله دائما من وجوب أن ندعو إلى الله ، ألا ندعو إلى أنفسنا و أن لا نغترّ بأنفسنا و ألاّ نعظِّم أنفسنا و إنّما ندعو إلى الله عز وجل بالموعظة الحسنة، بالحجج، بالأساليب الطيّبة، لعلّ الخير أن يزداد، و لا شك -يا إخوة- إذا وُجِدت

الدعوة بإخلاص لله عز وجل و مُتابعة لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنّه يُحفظ الخير الموجود و يزداد ، فيزداد الهداة هدًى و يرجِع الضالُّون إلى الصراط المستقيم، فإذا أدركنا الغربة فلا بد أن نُدرك الواجب علينا.

المتن:

الثانية: معرفة أول شِركٍ حَدَثَ على وجه الأرض: أَنَّهُ شبهة الصالحين (٤).

الشرح :

نعم ليس المقصود –يا إخوة –أنّه بشبهة من الصالحين و إنّما بشبهة محبة الصالحين، فجاءهم إبليس فشبّه عليهم لأنّهم يحبّون الصالحين و هو لم يأمرهم بمحبّة الصالحين بل أمرهم بالغلوّ في هذه المحبة، فكان ذلك سبب وقوع أوّل شرك في الأرض.

المتن:

الثالثة: أول شَيءٍ غُيِّرَ به دِينُ الأنبياء، وما سبب ذلك، مع معرفة أَنَّ الله أرسلهم.

الشرح :

نعم أوّل أمر غُيِّر به دين الأنبياء هو الغلو في الصالحين ، هو الشرك و سببه الغلوّ في الصالحين،و الله عز و جل أرسل الرسل لتُبيِّن للناس الصراط المستقيم و منه ترك الغلو.

المتن:

الرابعة: سَبَبُ قبول البدع [٥]، مع كون الشرائع والفطر تردها.

الشرح :

نعم سبب قَبُول البدع لأنّ الشيطان يُزيّنها بلباس الحق و لذلك بعض الناس إذا رأوك تنكر بدعة، قالوا لماذا تنكر ؟ هذا يذكر الله، هذا يذكر الله.

أحد الحجاج الزوّار هنا قبل يومين تقريبا وزّع كتابا فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم على غير المشروع بألفاظ فيها بدع و شركيات، فأحد الإخوة أنكر عليه أن يوزّع هذا على الناس و بيّن له أن هذه بدع ليست مشروعة :

1/أنكر عليه أولا : أنّ يُوزّع من غير أن يُؤذن له و هذا ابتئاس على ولي الأمر لا يجوز.

2/و الأمر الثاني : أنّه وزّع هذا الكتاب الذي فيه الأذكار البدعية، فقال أحد إخواننا من الزوار ، قال يا أخي لماذا تنكر عليه ؟ ما فيه إلاّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فالشيطان يُزخرف البدع بالحقّ فترُوج على المحبين لقلّة العلم و قلّة من يُبيّن، لو عرض الشيطان بضاعته كما هي لما قبلها عاقل فضلا عن مسلم لكنّه لا يعرضها إلّا مزخرفة بلباس الحق و يخلط الباطل بكثير من الحق ليُشبّه على الناس.

إذن لماذا يقع الناس في البدع مع محبتهم للنبي صلى الله عليه و سلم و أنّ النبي صلى الله عليه و سلم بيّن كل شيء و أنّ الفطرة ترد الإبتداع لأن الشيطان يَغشُّ

الناس بإظهارها بلباس الحق و الحب و التقرب، و لا نجاة إلا بلزوم سنة النبي صلى الله عليه و سلم، من أراد النجاة لنفسه فليزم سنة النبي صلى الله عليه و سلم و من أراد النجاة لأهله فليعلِّمهم سنة النبي صلى الله عليه و سلم.

المتن:

الخامسة: أَنَّ سبب ذلك كُلِّهِ مَزجُ الحَقِّ بالباطل. فالأول: محبة الصالحين.

والثاني: فعل أُنَاسٍ من أهل العلم والدين شيئًا أَرَادُوا به خيرًا، فَظَنَّ مَن بَعدَهُم أَنَّهُم أرادوا به غيره.

الشرح:

نعم مَزجُ الحق بالباطل الأول الذي هو حق محبة الصالحين و قلنا –يا إخوة – إنّ محبة الصالحين حق و مطلوبة شرعا لكن من غير غلوّ ، ففعلُ بعض الصالحين الجاهلين أو بعض ممّن ينتسبون للعلم بعض الأشياء غير المشروعة بسبب المحبة فيه مزج الحق بالباطل و مزج الباطل بالحق حتى يَروج الباطل بقصد أو بغير قصد.

المتن:

السادسة: تفسير الآية التي في ﴿سورة نوح﴾.

الشرح :

نعم و قد فسّرها تُرجمان القرآن إبن عباس رضي الله عنهما.

المتن:

السابعة: جِبِلَّةُ الآدَمِي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الشرح :

الله أكبر يجب أن ندرك هذا –يا إخوة–، من طبيعة الإنسان أنّ قلبه قَلاَّب و أنّ الحق الذي يعلمه اذا لم يُحافظ عليه بسؤال الله عزّ و جل الثّبات و هذا أعظم أسباب المحافظة، و بالعلم و بالعمل سَينقُص كالماء إذا تُرِك في الحفرة فإنّه ينقص حتى لو كانت من الجبل الصلب أو من الصخر الصلب سينقص الماء فكذا الخير ، وإذا نَقُص الخير حلّ مكانه ضدُّه و هو الباطل ، إذا عرفت هذا يا عبد الله أنّ هذا من طبيعتك، فهذا يجعلك تُجاهد في سبيل الله و لا تغفل ، الجهاد الأكبر و **هو جهاد النفس** بأن تحرص على المحافظة على الخير الذي أنت فيه و أن تحرص على الزيادة و أن تحذر من الباطل، إيّاك يا عبد الله ما دُمت حيًّا أن تغفل عن عدوِّك ، بعض إخواننا قد يصل به الصلاح إلى درجة أنّه يقول الحمد لله، أنا الآن يعني الأشياء التي يُبغضها الله ما أقربها فيبدأ يتساهل ، يتساهل بالحديث يتساهل في النظر، فيضعُف هذا، و أنا أقول بكل وضوح إنّ الكثيرين منا، نحن المسلمون عموما و طلاّب العلم خصوصا بدأ التديّن فيهم يضعف و معاصينا في الخلوات أصبحت تعظُم، نشاهد المحرمات، نتحدّث بالمحرمات و الباطل في نفوسنا بدأ يعظُم و نحن في غفلة عن هذا الجانب، بعضنا عنده حرص على السنة من حيث الاعتقاد و العلم و لكنّه يُهمِل نفسه من جهة التديُّن

فيضعف تديُّنه حتى أنّ بعضنا أصبحوا يصلون في البيوت مع أنّهم طلاّب علم من غير عُذُر، أصبحوا يقعون في أمور محرمة لأنّ أصبحنا نغفل عن هذه القضية، لا بد- يا إخوة- من أن نحرص هذه النفس من جميع الجوانب، من جهة الاعتقاد ، من جهة العمل بالسنة من جهة التديُّن، احرص نفسك احرص على الثّبات على الخير و احذر ممّا حرّم الله و احذر من أن تُؤتى من الغفلة أو الغرور بالنفس، للأسف أنّ بعضنا أصبح كثير الكلام ، قليل العمل بخلاف ما عليه السلف، فإنّ أعمالهم كانت تسبق أقوالهم، قلَّ كلامهم إلاّ فيما يحتاجوا إليه فكان مباركا و كثرت أعمالهم لله، فيا معاشر المسلمين أدركوا هذه القضية العظيمة الكبرى و هي أنّ الحق إذا لم يُتعَاهَد لا بُدَّ أن يقلَّ و يضعف و أنّ الباطل إذا لم يُحذَر منه لا بُدَّ أن يتسلَّل للنفس ويقوى و تعلموا و عَلِّمُوا أنفسكم العقيدة و السنة و التديُّن و كونوا من الصادقين.

المتن:

الثامنة: أَنَّ فيه[1] شاهدًا لما نُقِلَ عَن بعض السَّلَفِ: أَنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفرِ[2].

الشرح :

نعم البدعة –يا إخوة – خطوة في باب الغلوّ، في سِلَّمِ الغلو، كما قلنا إبليس يأخذ الإنسان أولا إلى البدعة و قد تكون بدعة صغيرة مع خير كثير جدا، ثم لا يزال يُمَحِّظ

به البدعة ، يُمَحِّظ به البدعة حتى تستقرَّ البدعة و يذهب الحق، ثم قد يقوده إلى الشرك بالله كما فعل إبليس مع هؤلاء القوم من قوم نوح.

المتن:

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُنَ قَصدُ الفاعل.

الشرح :

نعم ، نعم لا شك –يا إخوة– أنّ الغالب على من يفعلون البدع أنّهم يريدون خيرا، هذا الغالب ثم بعد ذلك قد يقعون في المكابَرة و المجادلة و العياذ بالله حسن النية لا يسلمون به من الذنب لكن مع ذلك إذا فعلوا البدع يصبحون دعاة لها فيزداد إثمهم و يُحَاجُون عنها فيزداد إثمهم ، و يفعلون هذه البدع فتَقلُّ محبّة السنة في قلوبهم و يقودهم ذلك إلى شر عظيم،

و لذلك إبليس يحبُّ البدع أكثر من المعاصي ، كما قال السلف" البدعة أحب إلى إبليس من المعصية" لأنّ البدعة تُنسَب إلى الدين و تقود الإنسان إلى درجات في البعد عن السنة إلى أن يصل الأمر و العياذ بالله إلى الشرك بالله.

المتن:

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية وهي: النهي عن الغُلُوِّ، ومعرفة ما يؤول إليه.

الشرح :

نعم، النهي عن الغلو في الدين مطلقا ولو بشيء يسير و أنّ الغلو نَفقٌ مظلم و منحدر عميق من دخله أَوشَكَ أن ينحدر فيه بقوة، فالسلامة في البعد عنه أصلا و عدم التساهل في شيء من الغلو و لو كان يسيرا صغيرا.

المتن:

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الشرح :

و سيأتي إن شاء الله في الباب التالي.

المتن:

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الشرح :

نعم، الواجب ألاّ تُنصب التماثيل أصلا، فإذا وُجدت التماثيل فإنّ الواجب أن تُطمس، لكن طمسها إنّما يرجع إلى ولي الأمر و لا يُسلَّط الناس على الناس و القاعدة

عند أهل العلم –يا إخوة– **"أنّ المفسدة لا تُدفع بمفسدة أعلى منها"**، قد يرى ولي الأمر أو يجد أنّ في طمس التماثيل مفاسد تَربُو على مفسدة وجودها و قد يُقرِّر له العلماء ذلك بدراسة المسألة فيُرتكب أخفّ المفسدتين، النبي صلى الله عليه و سلم لما دخل مكة و فتحها و أصبح يعني حاكما يستطيع أن يفعل ما يشاء، لم يهدم الكعبة مع أنّها لم تُبن على قواعد إبراهيم كاملة و لم يجعلها على هيئتها لم يعيدها إلى هيئتها التي كانت على زمن إبراهيم عليه السلام بأن يجعل لها بابين لماذا؟ لأنّه ظهر له صلى الله عليه و سلم في فعل هذا مفسدة أعظم من مفسدة بقاء الكعبة على هذه الحال و لذلك قال لأمنا عائشة رضي الله عنها **"لولا أن قومك حديث عهد بكفر لهدمت الكعبة و بنيتها على قواعد إبراهيم و جعلت لها بابين"** لكنّه منعه من ذلك صلى الله عليه و سلم المفسدة الأعظم و هي ارتداد الناس الذين أسلموا حديثا عن دينهم، و لذلك– يا اخوة– القاعدة عند أهل العلم أن مثل هذه المسائل التي تحتاج إلى اجتهاد لا يَتصرّف فيها الأفراد، و إنما يُرجع فيها إلى أولي الأمر من العلماء و ولاة الأمر، العلماء في البيان و ولاة الأمر في العمل.

كتاب الشرح حفظه الله على العبيد

المتن:

الثالثة عشرة: معرفة عِظَمِ شأن هذه القصة، وَشِدَّةِ الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الشرح :

نعم، هذه القصة عظيمة لأنّ فيها التحذير من الغلو في الصالحين و التحذير من مكر إبليس بالناس و مع شدة الحاجة إليها لا نجد أنّ الدعاة و الوعّاظ يتكلمون عنها بل للأسف لا نجد أن كثيرا من الدعاة أصلا و هذا خلل عظيم.

المتن:

الرابعة عشرة: وهي أعجب العجب، قراءتهم إيَّاهَا[٣] في «كتب التفسير»، و«الحديث» مع معرفتهم[٤] بمعنى الكلام، وكون الله حَالَ بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا: أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا[٥]: أَنَّ ما نهى الله ورسوله عنه، هو[١] الكفر المبيح للدم والمال.

الشرح :

نعم، إن كنت تعجب من عدم معرفة الناس بهذه القصة فأعجب من أُناس يعرفون هذه القصة و يعرفون البراهين القطعية على التوحيد و الأدلة الدامغة للشرك و مع ذلك يشركون بالله ويظنون أنّهم في أعلى مقامات التوحيد، فإنّ هؤلاء يعلمون و لا

ينتفعون يقرؤون القرآن بل قد يحتجُّون بآيات التوحيد و هم مشركون و هذا من أعجب العجب نسأل الله السلامة و الهداية.

المتن:

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

الشرح:

نعم، لأنّهم عندما نصبوا تلك التماثيل إنما أرادوا أن تكون وسيلة للنشاط في العبادة، ثم جعلوهم شفعاء لهم عند الله و تقربوا بالتقرب إليهم إلى الله عزّ وجل فوقعوا في الشرك.

المتن:

السادسة عشرة: ظنهم أَنَّ العلماء الذين صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذلك.

الشرح :

نعم ، بوسوسة إبليس و هذا- يا إخوة- يدلُّنا على أنّ القُرب من العلماء رحمة وأنّ البعد عنهم عذاب، فإذا كنت قريبا من العلماء فإنّهم يُبيّنون لك الحق و يُبيّنون لك لماذا قالوا و لماذا فعلوا، أمّا إذا ابتعدت فيأتي إبليس و يصرف الحق إلى الغلو ، حتى القواعد الشرعية اذا ابتعد طالب العلم عن العلماء يأتي إبليس و يجعله يغلو في القاعدة حتى يُجاوز بها الحد، و قد يظلم الناس بحجّة القاعدة و هذه القاعدة إنّما هي عدل

كلّها، لو كان عند العلماء و أخذ عن العلماء و كان قريبا منهم لعلّموه القاعدة و إعمال القاعدة، و ما الشر الذي نراه اليوم إلّا من أناس يسمعون كلام أهل العلم عن بُعد ثم يُنزِّلونه على غير منازله، و لذلك نحن نوصي نقول كونوا قريبا من العلماء و ممّن يقرب من العلماء لتتعلّموا العلم و إعمال العلم على وجه صحيح.

المتن:

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: {لاَ تَطرُوني كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَريَمَ}، فصلوات الله وسلامه على مَن بَلَّغَ البَلاَغَ المبين.

الشرح :

نعم، يعني هذا الحديث في الحقيقة لو أنّ الناس يفهمون و يبتعدون عن الشُبَه لقطع الطريق على كثير من الغلو الموجود، نسأل الله أن يهدي ضالّ المسلمين.

المتن:

الثامنة عشرة: نصيحته إِيَّانَا بهلاك المتنطعين.

الشرح :

نعم، نصيحته إيّانا ببيانه هلاك المتنطعين حتى لا نكون منهم، فكأنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال لنا جميعا أنصحكم و أوصيكم و ألزمكم ألا تكونوا متنطعين، فإن التنطع طريق الهلاك.

المتن:

التاسعة عشرة: التصريح أَنَّهَا[٢] لم تُعبَد حَتَّى نُسِيَ العلم، ففيها: معرفة وجوده[٣] ومضرة فقده.

الشرح :

نعم تقدم بيان هذا.

المتن:

العشرون: أَنَّ سَبَبَ فَقدِ العلم موتُ العلماء.

الشرح :

نعم ، و لذلك يا عبد الله إذا وجدت عالما أو لقيت عالما فاحرص على أن تنتفع من علمه ، ما علمته سابقا عنه لا تشتغل به إذا لقيته، اشتغل بأن تزداد من علمه ، فإنّ هذا العالم حيٌّ اليوم و قد تأتي مرة أخرى فتجد أنّه في قبره ، سواء أن كان العالم كبيرا في سنه أو صغيرا فإنّ الموت يأتي فجأة، فإذا لقيت عالما فاستفد منه حتى تأخذ علمه فيبقى العلم" **فإنّ العلم لا يُنتزع إنتزاعا من صدور الرجال و إنما بقبض العلماء**"، فاذا كان طلاب العلم يتعلمون من العلماء فإنّهم سيخلفون العلماء و يبقى العلم، لكن اذا لم يتعلموا من العلماء، فإنّه سيتَّخذ الناس رؤوسا جُهّالا، لأنّه لا بد لهم من رؤوس، فيُفتي اؤلئك الجهال بغير علم فيقع الضلال و العياذ بالله .